

الأبعاد الدينية للصراعات الحضارية (الصراع العربي الإسرائيلي نموذجاً)

د. سائلة عبد الجبار

والمهتمين بشؤون الغرب وأمريكا على وجه الخصوص، إذ يعزو البعض ذلك الدعم إلى:

أ- التقاء الهدف الصهيوني مع الاستعمار الغربي (أي الأبعاد السياسية التوسعية).

ب- البعد الاقتصادي والحضاري وهو ما يعرف بعلاقة الإسلام باليهود والنصارى منذ صدر الإسلام واستمرار العداوة حتى تعمقت في فترة الحروب الصليبية.

ولكن قلة قليلة تدرك أن هذا الدعم والتأييد المتواصل لإسرائيل يرجع إلى أسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية وإلى جهد دؤوب ومنظم بذلته الكنيسة الغربية عبر العصور. ومن خلال التاريخ نكتشف أن الكنيسة قد حافظت على موقفها من المسألة اليهودية وفسرت بذلك كل التنبؤات والإشارات المتعلقة باليهود في الكتاب المقدس، بما يحقق أهدافها في عودة (المخلص الإله)، وصارت أرض الميعاد حقيقة روحية وليست رقعة جغرافية مادية، وظهرت الحركات الدينية والمجموعات الأصولية الإنجيلية التي تسعى لتحقيق هذا الهدف. وتمثل فكرة المسيح المنتظر لب تصورات هذه الحركات والمجموعات.

أخذت فكرة المسيح المنتظر من عقلية اليهود - حسب العصور والظروف التي عاشوا فيها- أشكالاً مختلفة، كل جيل منهم صنع مسيحه حسب هواه وطبقاً للصورة الخيالية الوجدانية التي يحلم بها.

لم يحدث في عصر من عصور التاريخ أن كان الدين محوراً للاهتمام

لدرجة التي اختلط فيها الدين بالأسس

والمبادئ التي تُبنى عليها معظم النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مثلما هو حادث في عصرنا الحالي، فقد دخل الدين وما يتبعه من فكر ديني إلى اغلب الاهتمامات الإنسانية وأصبح هو المحور الذي تدور حوله كل إشكالات الحوار، وإن به يتدخل بشكل أو بآخر في توجيه الجماهير. ومع تصاعد الضغوط الاقتصادية والسياسية في الشرق وارتفاع المد الحضاري المادي في الغرب، أصبح الدين هو الملجأ الأخير والثابت الذي تتعلق به الحضارات. وعلى الرغم من أهمية الدين في الحضارات القديمة إلا انه اليوم لا يقوم بالدور نفسه الذي أداه في التاريخ القديم، بل هو شريك أساسي في كل الأدوار والنظريات، وتحول من وسيلة تنظم علاقة الإنسان بالله إلى غاية في حد ذاته. وبذلك أصبح وسيلة لتحقيق أهداف نفعية سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية.

وقد أصبحت اليهودية حركة قتالية (الحركة الصهيونية) حظيت منذ تكوينها بعطف ودعم لا يُضاهى في شتى المجالات من الغرب المسيحي، الأمر الذي أدى إلى قيام ما يُعرف بالكيان الصهيوني وخلق المشكلة الفلسطينية. وقد اتخذ هذا الدعم والتأييد تفسيرات متعددة من رجال السياسة والمحللين

(* مأخوذ من كلمة د. سائلة عبد الجبار في الجلسة الأولى من المؤتمر.

مع تصاعد الضغوط الاقتصادية والسياسية في الشرق وارتفاع المد الحضاري المادي في الغرب أصبح الدين هو الملجأ الأخير والثابت الذي تتعلق به الحضارات

شعبه عن كل الأرض، لأن الرب قد تكلم فيقال في ذلك اليوم
هو ذا إلهنا الذي انتظرناه نبتهج ونفرح بتخليصه). سفر
أشعيا الإصحاح ٢٥: ٨-١٠.

اتفق المعلقون على أن مبعث هذه النصوص هو التعصب
القومي وشدة الحقد وتعلق بفكرة غيبية خرافية هي فكرة الحق
الإلهي في السلطة الدينية مما يؤدي إلى حالة من التعطش
والرغبة في تحقيق المغنم المادية الضخمة.

الغريب في الأمر أن هذه الرؤيا (رؤيا حزقيال) قد أخذت
مكانة في الفكر الديني اليهودي؛ إذ تخيل المفسرون أن هناك
قوة شيطانية تعطل وعد الله بمجيء المسيح، وبذلك استخدموا
رموزاً غريبة لا يفهمها إلا أصحاب هذه الرموز فجاءت الأخطاء
في هذه التفسيرات لأنها أرجعت تفسير هذه الكتابات الكتاب
نفسه المقدس ولم يؤخذ في الاعتبار الرمزية والتطرف
المصاحب لها.

ومن هذه الرؤى:

- رؤيا النبي أشعيا: في ٦٨١ ق.م.
- رؤيا النبي ارميا: في ٥٨٦ ق.م.
- رؤيا النبي حزقيال: في ٥٧١ ق.م.
- رؤيا يوحنا المعمدان: موجودة في العهد الجديد ٩٥ م.

وقد صدر في الفترة ١٧٩٦ - ١٨٥٩م تفسير لوائي الرؤيا
تحت عنوان (من أجل إحياء عظام بني إسرائيل). والمثير أن
صاحب هذا التفسير هو (جورج بوش) الجد السابع لال بوش
الجدد وهو أحد رجال اللاهوت اليهودي.

وصدر ضمن سلسلة التلمود مع بداية الألفية الجديدة ما
يعرف بالتلمود الثامن، ويحتوي هذا العدد على وصايا الرب
لبنى إسرائيل في كيفية قتل الأغيار وسفك دمائهم. ومن واجب
اليهودي ألا يقتل الكنعانيين، بل إن الإله يهوه يشعر بلذة
فائقة ونشوى عظيمة وهو يرى جثث الكنعانيين وأشلاء
أجسامهم مبعثرة في الشوارع والطرق وأن دماءهم تسيل كما
الأنهار في كل مكان.. تلك هي وصايا الرب.

فقد التف المنفيون بسبب المهانة السياسية إلى الدين بعد
حالة التشرد والسبي إلى بابل على يد البطل البابلي (نبوخذ
نصر) عام ٥٨٧ قبل الميلاد.

هذه الفكرة كانت قائمة في التاريخ القديم وانتشرت عند
العديد من الباحثين اليهود بوجه خاص، وقد اعتمدوا في
ذلك على الفقرات الآتية:

- (لا يزول صولجان من يهوذا ومشرع من سلالته حتى يأتي
المسيح وتطيعه الشعوب) سفر التكوين الإصحاح: ٤٩: ١٠.

- أما في سفر العدد: ٢٤: ١٧ (إنني أراه وليس حاضراً أبصره
وليس قريباً يبرز كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من
إسرائيل فيحطم مؤاب وكنعان ويخسف كل أبناء الغرور).

- (انا الرب إلهكم فاسلكوا في فرائضي واحفظوا أحكامي
وقدسوا سبوتي، فتكون علامة بيني وبينكم إني انا الرب
إلهكم وميزتكم بين البرية لتكونوا لي) سفر حزقيال
الإصحاح ٢٠: ٢٠-٢٥.

المهم في هذه النصوص الخرافية هو مدى تعلق اليهود
بفكرة المخلص وطبيعة البناء الفكري الذي ارتبط بهذا الأمل
وأصبح حافلاً بحكايات كثيرة وشخصيات عديدة، وبقيت هذه
الفكرة إلى يومنا هذا من الأركان الغيبية في الفكر الديني
اليهودي، وكثر الحديث عنها في التلمود وفي كتب الشروح
اليهودية المختلفة.

ثم بدأت مرحلة جديدة من مراحل الديانة اليهودية عبرت
عنها رؤيا حزقيال (نبي المنفى): إذ بعد أن سقطت المملكة
اليهودية المزعومة وبعد تدمير الهيكل على يد نبوخذ نصر أتيح
للغفك اليهودي في زمن السبي أن يدرك أن يهوه هو الإله الواحد
للعالم كله وان ما حل بهم هو نتيجة مؤكدة لعدم اتباعهم شريعة
يهوه، وتكاثر عدد الأنبياء وأصبح جميعهم يفكرون في
الخلاص، وتجدد الأمل في حياة جديدة حول المعبد الذي
سيبنى من جديد، وفُسررت مصائبهم وما حل بهم بسبب
ابتعادهم عن الهيكل فجاءت دعوة حزقيال من أجل تطهير
الشعب وتهيبته للعودة (سفر حزقيال الإصحاح ٢٠ : ٢٠-٢١).

- (احرق بالنار من في وسط المدينة إذا تمت أيام الحصار وخذ
ثلثاً واضربه بالسيف وذره في الريح والبق بالآخرين في وسط
النار واحرقهم بالنار هكذا قال الرب هذه أورشليم وسط
الشعوب أقمتها لكم وحواليها الأراضي التي تصير لكم)
سفر حزقيال الإصحاح ٥: ٢.

- أما النبي أشعيا فيقول في عودة أورشليم التي يقيم فيها
الرب على جبل صهيون ويتجمع فيها المشردون من بني
إسرائيل (ويمسح الرب الدموع عن جميع الوجوه ويزيل عار

ليس من قبيل الصدفة أن يقف كارتر في محفل يهودي ويدعو إلى ضرورة الحفاظ على أمن إسرائيل لأنها جسر العودة للمسيح على الأرض

الشعب الأمريكي. وقد أقام الرواد مجد المسيح في أمريكا وإسرائيل؛ لأننا نتقاسم مع إسرائيل ميراث التوراة».

أما جيرى فولويل -وهو من زعماء الكنيسة التبديرية أو المرئية- فقد قدم برنامجاً فضائياً يسمى (ساعة من الإنجيل القديم) وفيه عرض مبهر بالخرافة مع ندرة الحقائق العلمية، وهو يعتبر زعيم الأصولية المسيحية الصهيونية ونجمها المتألق بلا منازع وأعظم مؤيدي دولة إسرائيل ودعاة مساعدتها في سبيل نصرته محور الخير على محور الشر وترويج المسيح على مملكة الخير!!.

أما كينيت كوبلاند فهو يدعو في برنامجه الإعلامي إلى مناصرة إسرائيل ويقول: «إننا نعبر عن حبنا لليهود؛ لأننا نرى فيهم الممثلين الذين لا بد منهم على مسرح النظام الديني لأن الله قد أقام إسرائيل الحديثة وجميعاً نشاهد الله يتحرك من أجل إسرائيل». ويقول في موضع آخر: «الإسلام هو العقبة الوحيدة في وجه عودة المسيح، وزوال الإسلام يعني ضمان عودة المسيح لتتمتع الأرض بحياة بلا أشرار، وهذا لن يكون قبل أن يضرب الله ضربته العظمى، فلنعمل معاً من أجل إسرائيل لترضى عنا السماء ويعود المنتظر ليحكم العالم».

مواقف الغرب من الخرافات

الموجودة في الفكر الديني اليهودي

ولابد من كشف مدى استغلال بعض رجال الدين في الغرب وأمريكا لتلك الآراء والأفكار التي تعمل على إهانة المشاعر وحقن العقول بأمور ساذجة وإقناعهم بأنها وحي من السماء لتأجيج نار الفتنة الدينية وتحقيق الخرافة ودفع البشرية إليها:

- القس (جورج أوتيس): رئيس منظمة مسيحية العصمة التوراتية يقول:

نحن نؤمن بأرض إسرائيل كما نؤمن بأن كل الأرض المقدسة في أورشليم وما حولها هي ميراث الشعب اليهودي وهو غير قابل للنقل أو التصرف، وهو الوعد الذي أعطاه الله لبني إسرائيل، كما نؤمن بأن تأسيس إسرائيل الحديثة هو وفاء لصحة النبوة التوراتية وتأكيد لرؤيا النذير بمقدم المسيح المبارك مرة أخرى على الأرض، كما نؤمن بأن اليهود في أي مكان من العالم هم شعب الله المختار وأن الله يبارك من يباركهم.

أما مدير مركز الأبحاث في المعهد المسيحي في نيويورك فقد قام بدراسة معمقة عن أثر هذه الأفكار عند الشخصيات السياسية المهمة في الحكومة الأمريكية، واكتشف ان رؤساء أمريكا على التوالي هم من المؤمنين بقوة بهذه الأفكار.

- وليس من قبيل الصدفة أن يقف جيمي كارتر -الرئيس الأمريكي الأسبق- في محفل يهودي على رأس جماعة من الإنجيليين يدعو إلى ضرورة الحفاظ على أمن إسرائيل لأنها جسر العودة للمسيح على الأرض. وأكد أن «علاقة أمريكا بإسرائيل كانت وما زالت وستبقى علاقة فريدة لا يمكن تقويضها؛ لأن المسيح يرفعها ولأنها متصلة في معتقدات

